مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد:09/ العـدد01 جوان (2025)، ص.ص.124-140

الجنون والسلطة وسؤال المثقف في الرواية الجزائرية المعاصرة: مصحة فرانز فانون لـعبد العزيز غرمول أنموذجا

Madness and Authority, And the Intellectual's Question in The Contemporary Algerian Novel: Abdelaziz Ghermoul, (Masahat Frantz Fanon) "Frantz Fanon Clinic"

عبد الكريم رزقي*
Abdelkarim.rezgui@student.umc.edu.dz
جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة1-
مخبر السرد العربي
(الجزائر)

د. فوزية بوالقندول
boulkandoul.fouzia@umc.edu.dz
جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة1-
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2025/01/01 تاريخ القبول: 2025/03/11 تاريخ النشر: 2025/06/02

ملخص:
يعد الجنون من أهم الخطابات الهامشية المسكوت عنها في التاريخ الإنساني، إذ عبّر الإنسان من خلاله عن رفضه للسلطة والهيمنة، ومن ثم حاولت الرواية المعاصرة استثماره وتوظيفه بوصفه خطابا جماليا تسعى من خلاله إلى تعرية ممارسات السلطة ومساءلة الواقع ورفض الفساد والظلم والاستبداد .
وتأسيسا على ذلك فقد انصب اهتمامنا في هذه الورقة البحثية على محاولة الكشف عن العلاقة التي تربط الرواية الجزائرية المعاصرة بثيمة الجنون وكيفية توظيفها له، إضافة إلى مساءلة دور المثقف في مواجهة السلطة من خلال استثمار المفهوم النقدي للجنون عند ميشيل فوكو.
كلمات مفتاحية: الرواية الجزائرية المعاصرة.، السلطة.، المثقف.، الجنون.، المسكوت عنه.

Abstract:
Madness is considered a crucial marginated and silenced discourse in human history through which individuals have rejected authority and dominance. Thus, the contemporary novel has tried to exploit it and employ this concept as an aesthetic discourse, using it to expose the practices of power and reality questioning; and reject corruption, injustice, and tyranny.
On this basis, the paper explores the relationship between contemporary Algerian Novel and madness usefulness. Additionally, it examines the intellectual's role in confronting authority, using Michel Foucault's critical concept of madness.
Keywords: *Contemporary Algerian Novel; Authority; Intellectual; Madness; Silenced Discourse.*

*المؤلف المرسل.

1- مقدمة:

تعد الرواية من الأجناس الأدبية الحديثة التي رافقت الإنسان ورسمت ملامحه وأفكاره وتصوراته لعالمه الذي يتوق إليه وللعالم الذي يرفضه ويسعى إلى لتغلب عليه، كما جسدت بقالب جمالي وفني بارع مقاومته ودفاعه المستميت عن حريته ورفضه لكل ما يقف ضد هذه الرؤية.

فهي تتميز بكونها خطابا جامعا لمختلف الرؤى والتوجهات والأفكار التي تحتفي بالإنسان ودوره في صناعة العالم، بوصفها كتابة ذات طابع حواري جدلي تشتغل في ضوء مساحة تسمح لها بمناوشة مختلف القضايا الشائكة والحفر في أطروحاتها وتبديد مسلماتها. فإذا كانت السلطة من الخطابات التي تسيطر على الإنسان وتكبل حريته، فقد توجّب على الروائي الكتابة عنها ومحاورتها وكشف استراتيجياتها ومن ثم تنوير الإنسان ضدها وتحريره من قبضتها وسطوتها.

لهذا نجدها تهتم بشكل كبير بمختلف القضايا الإنسانية التي ظلت منذ وقت طويل تحت طائلة التهميش والإقصاء والتغييب من قبيل مسألة الجنون، السجن، التعذيب، قضايا الحرب وضحاياها، مساءلة التاريخ...، من هنا تحولت الرواية إلى خطاب تنويري يقف في وجه أية سلطة كانت دينية، سياسية، اقتصادية....

هذا ويعد الجنون واحدا من الثيمات الأساسية التي اهتمت بها الرواية العربية المعاصرة، إذ حاولت استثمار هذا الخطاب الهامشي والكتابة عنه بوصفه قيمة لازمت الكائن الإنساني منذ نشوئه؛ وكان من أهم ميزاته أنه احتمى به وسايره طيلة مسيرته في مقاومته للسلطة، واستطاع من خلاله تمرير رسائله المشفرة والمناوئة والرافضة للأوضاع السائدة.

2- المتخيل المختلف: الرواية والجنون

يسعى بحثنا إلى إبراز الرابط الذي يجمع بين الجنون بوصفه خطابا ضد سيادة العقل وضد السلطة، والرواية بوصفها فنا ينهض على رؤية تمجد الإنسان وتدافع عن قيمه. ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا مع ميلان كونديرا أن الرواية رافقت الإنسان دوما وبإخلاص منذ بداية العصر الحديث وبفضلها "انتقل الإنسان من "رغبة المعرفة"، والتي وضعته تحت التنوير الدائم، إلى إبقاء "عالم الحياة" تحت النور دوما، وحمايتنا ضد "نسيان الكينونة"[1]. ذلك أن غاية الروائي كانت دوما مرتبطة بكيفية كتابة رواية" تتنصر للإنسان ولتفاصيل الحياة، وهموم الذات"[2].

تنتمي رواية مصحة فرانز فانون للكاتب الجزائري عبد العزيز غرمول لما يسمى بـ"المتخيل المختلف" وهو نوع من الكتابة السردية يهتم بمجموعة من الموضوعات والثيمات المهمشة والمغيبة مثل كتابات الأحياء الخلفية وكتابات الجنون والحمق والروايات التي تهتم بالجنس والإيروتيكا والشخصيات المهمشة والغامضة...ويرى محمد معتصم أن "المتخيل المختلف" يعد واحدا من الكتابات السردية التي تنتقد الثقافة السائدة وتعري خطاباتها[3].

فهي نمط كتابي يوسع من مفهوم الأدب والكتابة الأدبية ويكسر السائد من الموضوعات ويهتم بالمهمل والمحرم؛ أي "تلك[الموضوعات والقضايا] التي كان ينظر إليها على أنها لا صلة لها بالأدب"[4] ، إذ يسعى هذا التصور السردي إلى "تشكيل متخيل مناسب لفئة اجتماعية منبوذة من المجتمع"[5].

شغل موضوع الجنون عقول العديد من المفكرين والفلاسفة والنقاد باعتباره خطابا نشأ مع العقل/ ضد العقل بين نوره وعتمة فقدانه، فقد بدا "صوت الجنون، حيثما عرضته المصادر، ناقدا نذيرا، وفي حالة صدامية_وجيهة heat-on-attack_مع [أي]سلطة ظالمة. وهو بذلك يجسد، وبشكل جاهر الدلالة، منطوقا مهموسا، وموقفا مضمرا، للمجتمع تجاه السلطة، ورمزها القيادية، ويتقاطع في محتواه مع محتوى حركات المعارضة"[6] . لكنه قوبل بالتهميش والإقصاء والإبعاد مع نشوء المجتمع الحديث إذ يرى ميشيل فوكو أنه "وابتداءا من اللحظة الديكارتية (نسبة إل الفيلسوف ديكارت1596_1650) فإن العقل سيعمل على استبعاد الجنون...[فـ]نص ديكارت مؤسس العقلانية الغربية الحديثة، نص إقصائي واستبعادي، ونتج عنه تشكل لـ"العقل الغربي" يقوم أساسا على نفي الجنون وأكثر من هذا، نفي كل ما يمثله الآخر. لذا فإن الجنون في العصر الكلاسيكي سيخلد إلى الصمت، ولقد حاول فوكو أن يرد له لغته"[7].

فالجنون كما يذهب فوكو ليس "حقيقة طبيعية، بل بناء ثقافي كرسته شبكة من الممارسات الطبية والطبعقلية والإدارية"[8] وبالتالي فإن أي كتابة تتناول هذه القضية ستكون عبارة عن طرح مجموعة من "الأسئلة حول الحرية والتحكم، والمعرفة والسلطة"[9] وهو ما سيحاول الأدب استثماره؛ فالرواية ماهي إلا وجهة نظر الروائي تجاه قضية من القضايا مصوغة في قالب جمالي. فإذا كانت "توافقات الفن والطب العقلي على مدى قرون عملت على تنميط صورة

المجنون، مكرسة بذلك الأحكام المجحفة"[10]. فإن دور الرواية اليوم هو كسر هذه التابوهات والصور النمطية وإبراز الحقيقة المغيبة.

ويلخص ميشيل فوكو المسيرة التي قطعها الجنون وكيفية التعامل معه بدءا من العصور الوسطى وصولا إلى القرن العشرين؛ إذ يرى أنه برز كمفهوم قابل للتعامل معه-خطاب- مع ظهور المجتمعات الحديثة؛ حيث لم يكن الجنون في حالة الإنسان الأول، بل وجد مع بروز ما يسمى بالمجتمع الحديث؛ أي عندما تم تصنيفه بوصفه خطابا يحمل صفات معينة تنبغي دراستها واستكشافها بغية السيطرة عليها "إنه لا يوجد خارج الحساسيات التي تقمعه أو تستبعده أو تلقي القبض عليه. ولذا، نستطيع القول [إنه] في العصر الوسيط، وفي نهاية عصر النهضة، قد تم تقديم الجنون في المجال الاجتماعي بوصفه واقعة جمالية أو يومية، ثم في القرن السابع عشر_ابتداءا من العزل_ فإن الجنون قد عبر حقبة من الصمت والسكوت والإبعاد لقد فقد وظيفة التمظهر والكشف التي كانت له في زمن" شكسبير" و"سيرفنتس"...وأخيرا فإن القرن العشرين قد وضع يده على الجنون، وحوله إلى ظاهرة طبيعية، مرتبطة بحقيقة العالم. وسينبثق عن هذا التملك الوضعي مسلكين، من جهة تلك "الإنسانية الاحتقارية" وهو ما يعكسه العلاج النفسي تجاه المجنون ومن جهة أخرى، هنالك الاعتراض الفني الكبير، الذي نقرأه في الشعر منذ "نارفال" حتى "ارتو" والذي يعتبر جهدا لإعطاء عمق لتجربة الجنون، وسلطة الكشف التي تم حذفها من قبل العزل"[11].

مما يعني أنه كان يُنظر إليه بوصفه أمرا عاديا ويتم التعامل معه باعتباره حالة مقبولة لا تستحق الإبعاد والتهميش إلا إنه ومع بروز الخطاب العقلاني الذي يقوم في أساسه على تقسيم الأشياء والموضوعات إلى ما يقبله العقل وما يرفضه، فَقَدَ الجنون خصوصيته بوصفه من أهم المزايا الإنسانية وتم إقصاؤه وتحويله إلى خطاب هامشي تتم الكتابة عنه، وتبنى حوله العديد من التصورات والتمثيلات والصور النمطية؛ كما تم تشييد مؤسسات ومصحات خاصة تهتم بضحاياه من أجل إبعادهم عن مجتمع الأصحاء أين يسود العقل والحكمة، وتم التعامل مع المصاب به بوصفه مريضا يحتاج إلى علاج طبي فظهر ما يسمى بالطب النفسي والعقلي....

1.2-أنواع الجنون:

سنحاول في ضوء هذا المبحث التطرق إلى أنواع الجنون حسب تقسيم ميشيل فوكو وعلاقة ذلك بالرواية.

يمكن التمييز بين نوعين أو شكلين أساسيين للجنون عبر تاريخه حسب تقدير ميشيل فوكو "فمن جهة، هناك شكل سلبي يمكن نعته بالمأساوي(dramatique)، ويتسم بكونه غالبا ما يصيب الأفراد لأسباب سوسيو اجتماعية وثقافية...ومن جهة أخرى، هناك شكل إيجابي يمكن تسميته بالنقدي(critique)، عرف عنه مسه لأفكار الشخص دون جسده، بحيث أن مرضه يتجلى على مستوى الأفكار والمعارف التي تشبع بها ذلك الشخص، الشيء الذي أحدث لديه نوعا من فقدان التوازن العقلي"[12].

وهذا يعني أن النوع الأول يمس الشخص في كامل جسده بدءا بعقله مرورا بجسده ويكون المصاب به أكثر البشر عرضة للتبخيس والانتقاص والإبعاد؛ وذلك بفعل عوامل خارجة عن قوى الإنسان-خلقية- أو بفعل ضغوطات الحياة ومشاغل الدنيا. والنوع الثاني يمكن أن نمثل له بالمبدعين والعباقرة الذين خصهم الله بهذه الميزة ولولاها ما استطاعوا تحقيق ما هم فيه قط، كالشعراء-شكسبير مثلا- والفلاسفة-نيتشه مثلا- وهو جنون عادي ومحبب وضروري في مجال الكتابة والإبداع حسب فوكو وربما هو "الذي يكشف عن الحقيقة بامتياز"[13].

يرتبط الشكل المأساوي للجنون "بالملمح الانفعالي والمرضي، ولا يملك المصاب به أية قدرة على إنتاج ما هو معرفي، كما أنه بعيد كل البعد عن قول الحقيقة، أو محاولة اكتشاف إحدى مظاهرها المهيمنة في مجتمعه. إن شخص الفرد المصاب بالجنون المرضي شخص يوجد في وضعية انفصال تام عن الواقع المحسوس، الاجتماعي والطبيعي، الذي يعيش فيه، وبالتالي فوجوده مرتبط بحياة دون وعي ولا ذوق ولا إحساس، هي حياة اللانظام والفوضى التي يعكسها مظهره الجسدي، وتصرفاته وأفعاله التي يطبعها الانفعال والارتباك والخوف، أما من ناحية عباراته اللغوية وأفكاره، فهي لا تقل غرابة وغموضا وتناقضا عن واقع حياته المتأزم"[14].

ويرى فوكو في كتابه التأسيسي "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي (histoire de la folie a l'age classique)"وجود علاقة تربط بين الشكل المأساوي للجنون وشكله النقدي؛ حيث إن "كليهما يرتبط بعنصر أساسي

وهو أن صاحب الحالة، في الشكلين معا، فاقد التوازن الطبيعي والواقعي... غير [أن]الشكل المأساوي للجنون يجعل صاحبه يعاني ويلات المرض، المتجلي على مظهره الصحي والجسدي، وبالتالي النفسي والذهني، في المقابل ينفصل بالفعل صاحب الشكل النقدي للجنون عن واقع الناس الطبيعي وخاصة الاجتماعي، إلا أنه يرقى بتفكيره إلى مستوى عال ودرجة قصوى، ليتمكن نتيجة لذلك، من تحصيل معرفة خاصة به ينظر من خلالها إلى عالمه الخارجي. إذن صاحب الشكل الأول محاصر داخل دائرة الألم، في حين يمكن اعتبار كذلك صاحب الشكل النقدي محاصر، لكن داخل دائرة لا حدود لها...، هي دائرة المتعة الغريبة إذا صح التعبير"[15] [16].

إن الشكلين معا يتفقان في مفهوم الألم، غير أن النمط الأول ألم لا خلاص منه ولا فائدة ترجى من صاحبه فهو لا يتحكم في وعيه وذاته، أما الشكل الآخر فهو يحوّل ذلك الألم إلى منفعة يعالج بها عالمه وواقعه فهو ألم تصحيحي نقدي إبداعي، وبتحديد أدق النوع الأول غير منتج أما الثاني فهو منتج. ولعل النمط الأخير هو الذي يهمنا في بحثنا إذ يتميز بخصائصه الإيجابية التي تتسم "بالمعنى النقدي والفعالية الفكرية الموظفة ضد كل ما هو مألوف وسائد ومهيمن، سواء كان قيما أو أنظمة أو أفكارا. إن الشخص المصاب بهذا النوع من الجنون، والذي لا يعتبره فوكو مريضا، يموضع نفسه ضد التقليد والتسلط في المجتمع، وينتصر لقيم التغيير والتطور والإبداع لهذا فهو جنون من نوع نقدي...ويعتبر صاحبه نفسه قضية ورسالة، هي أنه يقف ضد البؤس والفقر والظلم، ويدافع عن الحق، وينشر الحقيقة والعدالة بين الناس"[17] فقد يتحول إلى ملاذ آمن يحتمي به الإنسان من جنون الواقع وأزماته.

من هنا ستكون الرواية ذلك الخطاب الإنساني المعاصر الذي يجابه الظلم والظلام والقهر، والباحث في تيمة الجنون في الرواية المعاصرة يجدها تمثل مجالا "ثريا وأرضية خصبة للابتكار الجاد، والتخييل المثمر، فهي تتيح إمكانات لا يتسنى للعقل الواعي أن يتيحها، لأن الجنون بتركيبته المعقدة المتشابكة يمثل مصدرا غنيا للخيال المطلق وللمفارقات التي تحول الكتابة السردية إلى عقل باطن يفتك انسجامه الرمزي والدلالي من عمق صراعات المجتمع وتناقضاته ومن عبثية الواقع المعيش المحيط بالذات والإنسان بوجه عام"[18]. من منطلق أن خطاب الجنون يعد "رؤية مغايرة تكشف عن طبيعة المجتمع لتعدل سلوك المركز وتفرض عليه نمطا جديدا يُدخل الهامش في اعتبارها"[19].

ملخص الرواية: تدور أحداث الرواية حول طبيب جزائري اسمه "نذير جزائري" اختص بدراسة علم النفس وكانت أطروحته مرتكزة على ما يسمى بالجنون الإيجابي، كان يحمل كأي جزائري -مثقف-أمل إصلاح أعطاب المجتمع التي يرزح فيها منذ أمد طويل، فهو يرى أن الشعب الذي واجه الكثير من الصعوبات والحروب والمآسي سيكون مصابا لا محالة بحالات من الجنون والفوضى وعدم اليقين؛ ومن الواجب الاهتمام بها ومعالجتها حتى تكون انطلاقته انطلاقة ايجابية، فهو يحمل في دواخله أفكار فرانز فانون الثورية ويحاول إكمال مسيرته النضالية في سبيل القضاء على تركة الاستعمار التي خلفها من ورائه في يد أناس يتحكمون بزمام السلطة.

هاجر إلى فرنسا للدراسة وذلك بهدف علاج المجانين الذين يسكنون مصحة فرانز فانون بالبليدة، وعند عودته واجه الكثير من الصعوبات مثله غيره من أبناء جيله(كيشوت، زوربا، ...) ولما علمت السلطة بفكرته حول فضائل الجنون الإيجابي نفته إلى الصحراء إلى المكان الذي يوجد فيه الكولونيل "بحوص" وهناك يتم القضاء على جميع آماله في مشروعه الطبي؛ حتى إنه عند عودته يتحول إلى شخص عبثي يلتزم بقضاء حياته في إحدى الأحياء الخلفية مع شلته المثقفة التي قضت السياسة والسلطة على جميع آمالهم في صناعة مستقبل أفضل.

لكن الأمل يعود إليه من جديد عندما يتعرف على مساعدته في مصحة فرانز فانون زهية التي تمثل الأنثى التي من دونها لا تبنى الحضارات ولا يصنع الأمل، وأيضا الوطن الذي يبحث عن أبنائه المخلصين. وتنتهي الرواية بنتيجة إنه ومن الواجب المقاومة والعمل للتغلب على صعوبات الحياة وبناء وطن الأحلام والمستقبل.

2.2-توظيف الجنون في الرواية:

تعالج رواية مصحة "فرانز فانون" لعبد العزيز غرمول الإنسان الجزائري الباحث دوما عن ذاته التي ضاعت وانفلتت بفعل عوامل عديدة منها الاستعمار والعشرية السوداء بمخلفاتها السياسية والعسكرية والدينية؛ والتي أعادت الجزائر سنوات إلى الوراء، وكذلك مساءلة السياسة الحاكمة التي قضت على آماله وجعلته كائنا قابلا للموت ذلك أن "حب السلطة يعمي صاحبه عن قتله للملايين من شعبه لأنه لا يفكر في آثاره السيئة، وإنما فيما يجنيه شخصيا من بقائه في السلطة !"[20] وليس شرطا أن يكون القتل ماديا فقد يكون معنويا وهو الأخطر. وتبحث كذلك عن التحولات التي

مسته قبلها، أثناءها، وبعدها، كما أنها صرخة مدوية في وجه الفساد وأشباه المثقفين ودعوة صريحة إلى الحلم والأمل والعمل من أجل بناء جزائر جديدة. إنها أشبه "برواية عبثية"[21] كما جاء على لسان شخصياتها ذلك أنها تمثل واقعا "مشحونا ومليئا بالمرارة والقلق والهواجس"[22].

تنتمي هذه الرواية إلى ما يسمى بـ"سرديات الذاكرة" فهي تحفر وتُسائل الذاكرة الوطنية الجريحة، ويرى إدريس الخضراوي أن رواية الذاكرة "تتأسس جوهريا على التذكّر الفردي والجماعي لمجموعة من الذكريات والأحداث والأمكنة والعلاقات والمشاعر المختلطة التي خلفها الإنسان وراءه، لكن دورها محوري في تشكيله هويته، وفي توسيع وعيه ووعي الأجيال التالية باللحظة الراهنة"[23] . إنها سيرة شعب بأكمله تروى على لسان طبيب اسمه "نذير جزائري" وباقي شخصيات الرواية؛ حيث تعود بنا وتسرد لنا حكاية مواطن جزائري بسيط كان كل أمله عيش حياة كريمة في وطن مليء بالثروات لكنه يفتقر لأدنى شروط الحياة، إنها مسيرة كائن يحمل أحلاما بسيطة في إنشاء عائلة وبناء منزل، وإتقان عمله بوصفه طبيبا نفسيا يبحث عن الاعتراف بدوره داخل المجتمع، وتوظيف معرفته في معالجة المرضى وفهمهم وتخليصهم من معاناتهم، وكذلك صراعه مع السلطة بوصفه مثقفا يحمل عقلا معرفيا يمكن أن يفضحها ويعري تحركاتها؛ "كان يشعر بسعادة ممزوجة بشقاء خفي، لا يكف عن طرح تساؤلات ليست لها إجابة بعد. قال الطبيب فيه أنها ميراث سنوات الفراغ والكبت...، لكن الطبيب ذاته كان فرحا بنيله أخيرا حقه في الاعتراف...سيجمع شظايا حياته المتطايرة في كل مكان، ويعيد ترتيب أيامه، ويحلم ككل أبناء جيله ببيت دافئ وزوجة طيبة وأطفال يثيرون الشغب حول سريره وهو يتفرج على التلفزيون"[24].

إنها -باختصار- سيرة جيل ما بعد الثورة التحريرية خاصة جيل سنوات الثمانينيات والتسعينيات وصولا إلى الألفية الثالثة؛ وهي الفترة التي تحولت فيها حياة الإنسان الجزائري إلى كوميديا سوداء، تقول زهية "بعد كل الحروب يا دكتور تعود الأمور عادة إلى مجراها الطبيعي، إلا هنا أصبحت حياة الحرب هي الطبيعية !"[25] ؛ إذ تحولت حياة الجزائري إلى حرب يومية حرب من أجل القوت والعيش، وأخطرها حرب من أجل إثبات الكينونة والكرامة الإنسانية؛ افتقد فيها لأي أمل بغد أفضل ومستقبل زاهر ووطن يحمل فوقه طموحات أمة تبتغي الحياة سبيلا لها، وهو ما يثبته الملفوظ التالي الذي جاء على لسان الراوي "كان مغمورا بإحساس لا اسم له..خليط هجين من السعادة والفقدان والحزن الذي لا دموع له. كل تلك الوجوه النابضة بالحياة تملق وجودا غير مرئي للخلاص، للحرية، للانعتاق من أسر الواقع الجهنمي الذي يفرض بؤسه وعنفه واحتقاره للحق المقدس بإعلان الكائن عن نفسه بالطريقة التي يختارها ويرضى بها"[26] ، ذلك أن "الرهان الكبير اليوم لم يعد الهوية بل صار الكرامة. وليس من مقوم لمعنى الكرامة اليوم غير الحرية الذاتية بمعناها الكوني."[27] فالكرامة الإنسانية تسبق الهوية فالإنسان يحيا ثم يختار أي هوية ينضوي تحتها؛ ولن تكون هوية ثابتة أو مفروضة تبعا لمفهومها وإنما هوية تتشكل وفق مقتضيات إنسانية تؤكد الحرية والذاتية.

إنها رواية تبوح بالكثير من الأسرار والآلام والأحلام الموءودة التي حملها الشعب ولكنها اختفت مع سراب السلطة وجنون الواقع وموت الإنسان وفقدانه كينونته. ولعل هيمنة الراوي الذي يسرد الأحداث حيث لا يظهر وعي الشخصيات إلا في الحوارات التي تدور بينها، وكذلك هيمنة ضمير الغائب يجعلها رواية ذاكراتية بامتياز. فكأن ذاكرة نذير جزائري هي التي تتكفل بالحكي عنه على لسان الراوي؛ خاصة وأن الرواية تبدأ من النهاية وتعتمد تقنية الاسترجاع بشكل كبير في سرد الأحداث. فهي ليست رواية تاريخية تعتمد التاريخ الرسمي أو الموثق، وإنما، هي، رواية تقوم على "تسريد الذاكرة" أو إعادة كتابة ذاكرة جديدة يمسك فيها الشعب المهمش زمام الحكاية فالرواية كما يرى عبد الرحمن منيف هي "سيرة من لا سيرة لهم"، والهدف النهائي هو "البحث عن الذات" وتبديد "سرديات السلطة"، إذ "تبرز علاقة الذاكرة بالاعتراف من خلال وساطة السرد؛ فالسرد هو القالب الذي تعرف به الذات ذاتها، وحتى تتعرف على هويتها يجب أن تحوّل مسروداتها إلى حكاية"[28].

إنها تدافع على أطروحة أن "الكتابة تتحول إلى واجب ما دامت الذاكرة جريحة" أو كما قال الراوي إنها "صفحات بقدر الوهم الذي تفضحه، بقدر ما تفضح استعمارا أعاد شعبا إلى عصر الخرافة الموغل في القدم..شعب -مثلما هو الآن تماما- أصبح عاجزا، مريضا، يحاول أن يعلق ضعفه على مشجب عالم آخر لا مرئي، لا مجسد، لا حول له ولا طاقة لمواجهته، وهو في الحقيقة يعبر عن عجزه على مواجهة واقعه الذي كان المستعمر يومذاك يسطو عليه ويسلط من

خلاله كل أنواع القهر والتعذيب"[29] ، إذ حولت السلطة الحلم والواقع إلى أوهام مستحيلة التحقيق وأنتجت "مجتمع[ا] تخلى عن ذاته لصالح أوهامه"[30] ونبت في ترتبها إنسان أضحى "واعيا بوضعه المأساوي مما يدفعه يوميا إلى انتحار بطيء"[31].

وهنا حقّ لنا أن نطرح مجموعة من الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها في ما يلي من البحث: كيف يتحول طبيب بسيط هدفه الوحيد مداواة المرضى والاهتمام بهم إلى شخصية مستهدفة من طرف السلطة؟، وكيف يمكن للإنسان وهو يزرع الخير ويتقن عمله أن يحوله إلى آلية مواجهة وإبداء للذات؟، وما هي استراتيجيات السلطة في تغييب الوعي والقضاء على كينونة الإنسان حتى تبقى على هيمنتها وتمرر خطاباتها؟.

تمر الذات أو الشخصية المحورية في الرواية نذير جزائري-الطبيب- بمرحلتين حاسمتين في مسيرة اكتسابها لوعيها بذاتها وعالمها؛ المرحلة الأولى: هي مرحلة نفي الذات لذاتها-النفي الاختياري- بفعل العنف الدموي والصراع على الحكم وضيق العيش، واختيار الآخر-فرنسا- سبيلا للخلاص ومصدرا لاكتساب المعرفة –طب الجنون- ومن ثم العودة إلى الجزائر كشخصية مثقفة تحاول معالجة وإصلاح الأوضاع داخل الوطن كما قال الراوي: "إنه عائد إلى مرتع أحلامه، إلى العاصمة الأكثر جمالا وبؤسا بين عواصم المتوسط"[32].

والمرحلة الثانية تمثل نفي الذات وإبعادها من طرف السلطة، بعد إيجاده للحل الذي يمكن أن يساهم في معالجة مشاكل المجتمع وأزماته -أطروحة الجنون الإيجابي- خاصة وأن "الطب النفسي يتقاطع مع السياسة لأنه يداوي الأمراض التي تتركها في الناس!"[33] ؛ ومن ثم قمع صوته وإسكاته بإرساله إلى ثكنة عسكرية في الصحراء بهدف معالجة الجنود الذين خسروا علاقتهم بالحياة والواقع وفروا إلى عالم الحرية والجنون .

وهناك يتحول إلى شخصية يائسة وهو يدرك تستر السلطة-سياسية، عسكرية- عن ممارساتها التي أودت بالمجتمع كله إلى هاوية فقدان العقل والوعي، ومن ثم يفقد ميزته ووسامه الطبي وينعت احتقارا بتوبيب وبـ"ولد فرنسا"، قال الوزير "أرسلوه إلى الصحراء لإعادة تربيته ورسكلته كنفاية عضوية متميزة...وانتهى أمر ذلك الطبيب الذي كان يتبجح بأنه يريد ..."أن يحرر الإنسان من سجنه، ويكتشف مواطن الخلل الكامن في الوعي المنفصل عن واقعه!"[34] . وقوله عن نفسه "تبنى الأوهام كأمل نركض وراءه يؤدي بنا إلى صحراء تضرّس عظامنا!"[35] . وهنا لا بد أن نشير إلى أن الصحراء التي مثلت الأم دائما بالنسبة إلى الإنسان عموما والعربي بشكل خاص تحولت بفعل السلطة إلى مكان يوجّه إليه الإنسان حتى يهدر فيه. ومن ثم كانت عودته إلى العاصمة بؤرة الصراع، مهزوما مكتوف الأيدي خائر القوى مغيب الوعي مهدور الفكر، والتقائه بزمرة أصدقائه المثقفين المهدورين كذلك.

تقوم الرواية على رؤية تتأسس على أن المجانين هم فقط من تَنعتُهم السلطة، بذلك وهم بلا شك نتاج سياسة فاشلة وحكم متعصب وطائفية مقيتة؛ فنحن كما جاء على لسان زهية "صورة لمجتمعنا وليس لذواتنا"[36] إذ يتم نفي الذات الفاعلة تماما في بناء نفسها وتشكيل تصوراتها حول ما هي عليه وما تتوق إلى الوصول إليه؛ وكأنها تعيش وسط جبرية وواقع مفروض عليها لا تملك القوة ولا الشجاعة لتغييره، فإذا كان من يتحكم بزمام المجتمع يرى في غيره مجنونا فلا بد والحال هذه أن يقتنع ويسلم أمره لهذه الحقيقة ولا مجال للمحيد عنها ومخالفتها، فالذات منفية مغتربة اغترابا تاما، وهو ما يبيّنه ملفوظ زهية الذي يفضح سرديات السلطة حول هذه الفئة من المجتمع "هؤلاء ليسوا كلهم مجانين حقيقيين يا دكتور، بعضهم أصيبوا تحت التعذيب في وقت الإرهاب بفقدان الذاكرة، وآخرون انفلتوا من عقال المجتمع المريض باحثين عن حريتهم..وآخرون هربوا من الجوع والذل في الشارع إلى مكان يأوي أحلامهم الضائعة ويملأ بطونهم الجائعة، وأغلبهم ممسوسون لا يعرف الطب الحديث دواء لهم!"[37]

وإذا أردنا نستثمر عبارة سيمون ديبوفوار في هذا المقام نقول إننا لا نولد مجانين وإنما نصير كذلك[38] ، وبالتالي فالمجتمع كله مجنون بالضرورة وهو ما يظهره الملفوظ التالي الذي قاله الكولونيل والذي يرمز للسلطة "بعض الشعوب يا توبيب كلها مجنونة بما فيها أطباؤها لذلك لا تعرف أنها مجنونة..تلك شعوب الهول والفوضى والانحطاط!"[39] وكما يقول توماس تريون فـ"إن العالم عبارة عن مستشفى مجانين كبير، حيث يحتجز فيه الناس الأكثر جنونا من هم أقل جنونا"[40]؛ إذ يرى كيشوت أن "النظام السياسي الذي يستعمر شعبنا يعمل منذ خمسين عاما على تجهيله وتفقيره والدفع به للفساد والفشل والاقتتال"[41]. ومن ثم فإن السلطة تحاول جاهدة اصطناع معارك وهمية وحروب دينية حتى تثبت فرضيتها المتعلقة بجنون المجتمع وعقلانية السلطة ذلك أن "إقرار ما هو صواب يعتمد على من يهيمن على الخطاب"[42] فهي تزرع

خلايا الرعب "في داخل الإنسان فتتحول حياته إلى جحيم يستحيل العيش فيه دون جنون"[43] وفي هذا الصدد يرى فتحي المسكيني أن كل دولة تزعم أنها "أغلقت باب الانتماء أمام الشعب الذي تحكمه وحوّلته إلى هوية جاهزة وقابلة للاستهلاك اليومي الطويل الأمد. كل دولة تحوّل الحكم إلى بنية هوية وتحاسب الأفراد على هذا الأساس، أي إلى مستهلكين رسميين لمضمون هووي جاهز مفروض بوسائل العنف الشرعي"[44].

إنه صراع بين الـ(سلطة/ عقل)التي يمثلها كل من -الكولونيل بجوص، الوزير، والإسلاميون-، والتي تعتمد استراتيجيات وأساليب: القمع، الإقصاء، السيطرة[45] في تركيع المواطن الجزائري، والـ(شعب/جنون) الذين يمثله المرضى الذين يقبعون في المستشفى وكذلك شلة الطبيب-كروزو، كيشوت، ميرسو، شكري، زهية، بوعزة، مسعود طالبان، وضحايا الإرهاب...-، وبالتالي فمناداة نذير جزائري –الطبيب– بالجنون الإيجابي هو تعبير عن نسق مضمر موجود داخل كل جزائري يحاول أن يحلم بغد أفضل، إنه تحويل لمفهوم الجنون من معناه السلطوي التراجيدي إلى معناه النقدي الإيجابي الذي يقوم على العمل ونبذ اليأس الذي تزرعه السلطة في حقول الوطن وعقول الشعوب؛ إنه إعادة إدماج للمواطن في وطنه وتشغيل وعيه وإشعاره بمسؤولياته تجاه ذاته وعالمه وتجاه من يتحكم بدروب المجتمع، والذي يستدعي منه يقظة دائمة حتى لا يتم تدجينه وفق منطقها .

إن من يقبع في مستشفى فرانز فانون أو في الثكنة التي تضم ضحايا الإرهاب أو في الماخور الذي يضم شلة الطبيب نذير جزائري ليسوا مجانين بل هي كناية عن عقول محبوسة اختارت الجنون سبيلا للتعبير عن كوامنها ورفضها غير المشروط للسلطة؛ "فنحن بحاجة إلى الجنون لكشف زيف التعقل والجبن واللامبالاة، فالجميع راضخون: ينفعلون بالمقاييس المتاحة..يضحكون بالمقاييس المتاحة..ويبكون ويغضبون بالمقاييس المتاحة..ولذلك ينهزمون..بالمقاييس كلها..ولا ينتصرون أبدا!"[46] . فكل الشعب في منطق السلطة مجنون؛ إذ يتحول الوطن كله إلى مصحة أو مستشفى لمن لم يستطع أن يقاوم، فيكون مصيره فقدان الوعي والعقل والمنطق. وتكون الصحراء منفى لمن قاوم منطقها وبحث وعرف تحركاتها حيث الثكنات العسكرية بغية إسكات جذوة وعيها وزرع اليأس فيها، ذلك أنها ترى نفسها الممثل الوحيد والشرعي للعقل، وأن من خالفها هم مجرد مجانين، إنه صراع بين المعرفة والسلطة، فربما "كان نزلاء المستشفى أكثر حرية وحظا "ومن هنا أكثر رشدا" من أولئك الذين في الخارج"[47].

لكن إذا سلمنا بمقولة بيرتون على أننا " كلنا مجانين بصورة ما"[48]، فسيكون هؤلاء الذين تنعتهم السلطة بالجنون وفقدان العقل لأنهم لم ينصاعوا لأوامرها ونواهيها، إلى ممثلين للجنون الإيجابي الذي يقف في وجهها ويرفض ممارساتها التي تعكس في مجملها الجانب المظلم من الجنون لأن-السلطة، العسكر، الإرهاب- ترى أنها وحدها الكفيلة بتملك الحقيقة ولها القوة على تطبيقها. إنها تمثل ما يسميه إيمانويل كانت نسيج الإنسان الفاسد ويمكننا أن ندرج قولته التالية "من نسيج الإنسان الفاسد لم يصنع أي شيء مستقيم أبدا"[49] ذلك أنها تحاول جاهدة زرع ثقافة الإنسان الفاسد داخل المجتمعات من خلال إشعال فتيل الحروب والنزاعات وزرع ثقافة اليأس والإحباط وتوظيف الهدر بمختلف أساليبه اجتماعيا وسياسيا وخاصة فكريا.

من هنا سنتطرق إلى دور المثقف كما ترسمه رواية مصحة "فرانز فانون"، فإذا كان هذا المثقف متسلحا بالمعرفة فهل يستطيع مجابهة السلطة ورد جبروتها والوقوف مع الشعب المغلوب؟ أم إنها ستخضعه لمنطقها؟ وتجعله لعبة بين حبائلها تسوقه حيثما تريد؟.

3-تمثيلات المثقف:

يستعير الكاتب في تمهيده لروايته مقولة مهمة لفرانز فانون يقول فيها: "الجنون هو أحد السبل المتاحة أمام المرء لفقدان حريته. ويمكنني القول إني من على هذا التقاطع شعرت بالرعب حين تبين لي مقدار الحرمان لدى سكان هذا البلد. وإذا كانت المعالجة النفسية تقنية طبية هدفها أن تسمح للإنسان بعدم البقاء غريبا عن محيطه، فعلي أن أؤكد أن الجزائري المحروم دوما في بلده يعيش في حالة ضياع مطلق لشخصيته"؛ ذلك أن "القهر يجعل الحكيم سفيها"[50] ناهيك عن الشعب البسيط الذي يفتقر لأدنى شروط الحياة !!.

ولا شك أن الكاتب وظفها عن وعي بمحتواها وهي تربط بين عنصرين اثنين: العنصر الأول يقوم على أن فقدان الحرية مرتبط بالجنون؛ فبقدر ما تغيب الحرية بقدر ما يحضر الجنون والعكس صحيح أيضا، والعنصر الآخر يقوم

على أن الإنسان الذي يحرم من حقوقه ويُمارس عليه الاستلاب والقهر والهدر بكل مستوياته هو إنسان يعيش حالة ضياع تام وفقدان كامل لشخصيته وذاته وكرامته. ورغم أن فانوناً كتبها إبان الاستعمار إلا أن مفعولها لا يزال ساريا إلى الآن وخطابها يمارس بالطريقة نفسها، وانطلاقا من ذلك لا تكون السلطة الحاكمة إلا نسخة مصغرة عن الاستعمار كما جاء في الرواية "فسلطة الحاضر استمرار لسلطة الماضي. إنها صيرورة تاريخ سلطة لا يعرف القطيعة، تغير الشكل - شكل السلطة- لكن الجوهر -التسلط- لم يتغير"[51] إضافة إلى أن السلطة منتشرة في كل مكان وتهمين على الفضاء وعلى المؤسسات وعلى الإنسان أيضا، وهو ما يثبته الملفوظ التالي الذي يجمع بين نذير جزائري ووالدته "اسمع يا ولدي ..أنت لا تعرف الإرهابيين لكنني متأكدة أنهم يعرفونك..لهم عيون في كل مكان بما فيها الجامعة..ثم ليس الإرهاب وحده يقتل المثقفين..العسكر أيضا..العسكر هو سبب المأساة في هذا البلد، العسكر لا يحب المتفوقين ولا يحب الحياديين..إما أن تكون معه أو أنت عدو محتمل يجب مراقبتك والقضاء عليك"[52].

يتأرجح دور المثقف في الرواية بين (الانهزامية/اليأس والوهم) وبين (الحلم/العمل) فهو يقع بين دائرتي النفي والإبعاد واليأس والرضى بالوضع القائم والخضوع للسلطة والعمل معها، وبين الحلم للتغلب عليها ومحاولة فهم ذاته وعالمه من خلال المعرفة والعمل على تغيير واقعه.

1.3. المثقف المهزوم سؤال الذات سؤال المصير:

تحولت الآمال التي كان يكنها نذير جزائري الذي يمثل المثقف في طابعه الانهزامي-في القسم الأول من الرواية- إلى مجرد أوهام؛ لأن المعرفة تحتاج إلى سلطة كما يعلمنا ميشيل فوكو[53] وأي اختلال في موازين المعادلة سيكون مصيره الفشل لا محالة، فالمعرفة تحتاج إلى سلطة والسلطة تحتاج إلى معرفة، لهذا جاء في الرواية قول الراوي: "لقد أمات اليأس فيه كل أمل يمكن أن ينعم به حتى ولو كان مجرد وهم!. إن ذاك الرجل الذي تم نفيه إلى هذه الصحراء لم يعد موجودا، وعلى الباقي منه أن يتعلم المشي في الحياة، مرة أخرى كطفل يتدرب على الحفاظ على توازنه واقفا"[54] ، فهو بعبارة أدق "يشتكي من الحياة ويرغب في الموت"[55]. وهذا يُظهر لنا مدى تفريط المثقف في أداء مهامه تجاه مجتمعه يقول الراوي "كان كل شيء قد غدا رمادا، وعود السياسة، والأحلام الصغيرة، والأمل في تحسين حياتهم. ولم يبق سوى الله أملا لهؤلاء البشر المحتقرين، المهمشين، الذين استنفذوا كل طرق ووسائل النضال الإنسانية لتحسين حياة الكلاب التي يرزحون تحت مطالبها الملحة...كان الناس يعرفون أنهم ضحايا جريمة موصوفة لشلة استولت على ثروة بلدهم، ولكنهم كانوا عزلا، وغير منظمين، ويفتقدون بفداحة لمن يقودهم على طريق حياة أفضل"[56].

ولعل تحول أحلامه بتغيير الأوضاع إلى الأحسن -تحولها إلى جحيم- كان ناتجا عن جهله بخلفيات وخبايا ودور السلطة في المجتمع، إذ إن المعرفة التي اكتسبها هي معرفة نبتت في تربة غربية ومن غير الممكن أن تكون نتائجها صالحة لأن تزرع في تربة جزائرية/محلية يسود فيها الاضطهاد ويقتل فيها الإنسان ويُغيّب فيها الوعي لهذا يقول "كل البدايات التي تخيلنا انكسرت على شوكة الجهل بالتفاصيل"[57] ويستحضر المثل الألماني ليدلل على ذلك "في التفاصيل يسكن الشيطان"[58]. وهنا إشارة واضحة إلى أسباب فشل مشاريع النهضة في بيئتنا العربية، فهي لا تعدو كونها تكرارا لمقولات غربية بعيدة عن بيئتها الأم فهي لا تنطلق من تراثها وحاضرها ما جعلها تقع في نوع من القطيعة بين الذات وذاتها، وهو ما يبرزه هذا الملفوظ الذي ورد في الحوار الذي دار بين نذير جزائري وأستاذه في جامعة ليون توسكفيل" الأستاذ "أفهمه أنه هنا الدراسة لا تنفع شعبه كثيرا، وعليه إن أراد أن يكون طبيبا كاملا أن يصغي لآلام شعبه ويبحث عن مسبباتها في مجتمعه، ويجد لها دواء منحوتا من أضلاع ثقافته. هنا، قال له، تتعلم فقط المنهج، أما الدواء فهو هناك!"[59] ، وقوله كذلك "في بلدانكم المتخلفة يا سيد نذير لا يمكن للمثقف أن يدير ظهره لتخلف شعبه..عليك أن تناضل ليس من أجل إشفاء المجانين، وأنت تعلم أن ذلك مستحيلا، وإنما من أجل إنقاذ شعبك من مرض الشقاء الذي هو أكثر إيلاما من مرض الجنون!...الحياة ليست خلاصا فرديا، إنها الفرح إذا لم تشارك فيه الآخرين يفقد معناه!"[60] .

فالمثقف المحلي دائما ما يدير ظهره لشعبه ويسعى لصناعة اسمه من خلالهم ويسكت عن الجهل والعنف والاضطهاد وهذا هو السبيل الأمثل للفشل، وتحريض غير مباشر على زيادة التسلط أين يصير المثقف مجرد بوق في يد السلطة وداعم لها.

ولعل المؤثر الثاني يظهر من ممارسات السلطة العسكرية الأبوية التي تقض مضجع المثقف أيا كان انتماؤه بفعل الممارسات التي تقوم بها تجاهه من نفي واستبعاد وحبس وهدر لفكره ووعيه يقول الكولونيل بحوص "الإنسان فقط خذه على حقيقته كمجرم محتمل.. "[61]، يعكس هذا الملفوظ نظرة السلطة العسكرية للإنسان عامة والمثقف خاصة فهو مجرم رغم براءته؛ لأن المجنون بمعناه التراجيدي هو الذي يُقْدِم على ممارسة أفعال خارجة عن نطاق الواقع، ويورد في موضع آخر "كان مرض الكولونيل الحقيقي هو القسوة الأبوية، التي يكنها لجنوده الذين يتمت الحياة سعادتهم فهربوا إلى الجنون للبحث، ربما، على قليل من الحرية للبقاء على قيد الحياة...هؤلاء بشر منتهو الصلاحية، فشلوا في مواجهة الأمر الوقع فلاذوا بالفرار للجنون!"[62]. إنها السلطة الأبوية والعسكرية القاسية والمقيتة التي ترى الإنسان صنفين مجرما يحتاج إلى تأديب، أو مجنونا يحتاج إلى تقييد.

إنه نظام مضطهد يحاول جاهدا أن يزرع كل أشكال الفساد في المجتمع حتى يغيب الوعي ويقتل الحلم ويبيد الأمل في التغيير "يريد النظام السياسي بقاء الأمور على ما هي عليه لأن مصالح أعوانه تقتضي ذلك..لقد تم دفن الأصوات المطالبة بتغيير النظام وجعله أقرب إلى الشعب..واستعمل في ذلك كل الأدوات بما فيها العودة إلى عصور الشعوذة والطرقية والقدرية و... وقد نجحت سياسته..إنه هنا دائما رغم أنف شعبه!"[63] ؛ لهذا فإن توسكفيل يقول" جنون السلطة أكثر خطرا من جنون الصدمة...أما السلطة المجنونة فتفقد شعبا كاملا صوابه، وبالتالي يفقد بوصلة حياته، وهو ما يدفع به إلى العنف والتطرف..."[64] ومن ثم تتحول الحياة إلى "كوميديا سوداء"[65].

إن ما تدعيه السلطة من جنون الشعب هو في الحقيقة ليس إلا جنونها الذي تحاول تمريره إلى شعبها حتى تمارس عنفوانها وسلطتها وتقتل حرية مواطنيها، يقول كيشوت "هذا النظام السياسي الذي يستعمر شعبنا يعمل منذ خمسين عاما على تجهيله وتفقيره والدفع به للفساد والفشل والاقتتال"[66] . وكذلك ملفوظ الراوي الذي يكشف مقدار الصدمة التي أصابت الطبيب وهو يكتشف من خلال مهنته مدى تلاعبات السلطة وهيمنتها يقول: "بعد سنوات طويلة سيفهم اللعبة اليائسة التي ورطت فيها شلة من السياسيين شعبا كاملا من أجل البقاء في السلطة وحماية مكتسباتها"[67].

فحتى المدينة تحولت بفعل السلطة إلى خواء، إلى أرض يباب وبور لا تنتج شيئا، تنتشر فيها كل مظاهر الفساد والانتكاس واليأس وأضحت فضاء "للذاكرة المريضة"، تحمل على ظهرها تاريخا مظلما إنه "تاريخ السلطة"؛ وهو ما يا يدل عليه الملفوظ التالي "سار طويلا وهو يتحسس شوارع المدينة، حجارتها، أشجارها، وجوهها الكئيبة الغابرة، نوارسها التي تذبح الآفاق بأصواتها المرتعشة، ذكرياتها التي تركت في قلبه الغض آثارا دامية لاحقته كماضيه حيثما رحل"[68].

إن مدينة الاضطهاد تحولت بفعل ممارسات الحكم المجنون إلى "مدينة ذاب المجانين بين ناسها كما يذوب الملح في الماء!"[69] ومن أهم منتجات السياسية الفاسدة والحكم الرجعي ما قاله الطبيب بسخرية وسوداوية كبيرة معبرا عن تناقضات مجتمعات الهدر "مثقفون يتحاشرون في حاوية معدنية يضجرون النبيذ السعيد بأوهامهم المريضة، وعلى الوجه الآخر من العملة، مرضى يوهمون النبيذ السعيد أنهم شطار عصرهم وصانعيه! جمة تعلق فشلها التاريخي على مشجب السياسة المتعفنة، كما يصفونها. والجهة الأخرى تصمت عن ذلك العفن لأنه الطريق السهل إلى الثراء السريع..."[70] ، لقد توقف الزمن وغاب الأمل وسادت الأوهام وسيطر الفشل "وكأن عقارب الزمن توقفت مرة أخرى في عالم الوهم والخيال المريض، في عصر يستبد فيه الفساد والفشل والعجز عن اختراع حياة حيوية بين عقارب هذا الزمن المتوقف!"[71] . وتقنية الاسترجاع الموظفة هنا تؤكد استمرارية الأوضاع البائسة وسكونية الزمن ونفي الحاضر.

2.3-المثقف الحالم: موت الذاكرة بزوغ الحلم:

نبدأ هذا المبحث بالسؤال التالي كيف استطاع نذير جزائري مقاومة السلطة؟.

والإجابة على هذا السؤال تقتضي مساءلة مضامين الرواية واتباع استراتيجيات الطبيب بوصفه مثقفا مقاوما. إذ تختتم الرواية بخطاب الذات المثقفة مع ذاتها خاصة وأنها كانت تعيش صراعا داخليا بين ماضيها القاسي وحاضرها العبثي الذي يتوقف فيه الزمن وتسوده السكونية؛ إذ بعد تعرّفه على زهية وتطور العلاقة بينهما إلى ثنائية تحاول بناء مشروع نضالي بسيط في ظاهره لكنه يحمل مضمرات عديدة؛ من خلال مصالحة الذاكرة التي قال فيها الراوي" ذاكرته القلقة"[72] والاعتراف بأخطاء الماضي، وضرورة التغلب عليها ومن ثم إدراك أن تغيير الحاضر وتشكيل المستقبل لا يكون باليأس

وإنما بالحلم والعمل من أجل صناعته وتجسديه على أرض الواقع؛ فالبداية تكون بإجراء مصالحة مع ذاكرتنا المريضة كما يصفها وهنا يقول الراوي "عندما يفكر الآن في ذلك الماضي لا يشعر بأي حنين إليه. تبدو ذاكرته، رغم أنها تخونه أحيانا، وكأنها تمحو ذاتيا المعلومات المنغصة التي لا يحتاج إليها. من النادر أن يتذكر حدثا مؤلما لا يرغب في تذكره. لقد عاش كقط شارد أنقذه فقط اجتهاده وإصراره على عدم السماح لعجلات الحياة المسننة بالمرور على جسده الغض كما فعلت بالآلاف من أقرانه"[73].

إذ كما يقول كارل ماركس" يصنع البشر تاريخهم، لكنهم لا يصنعونه كما يرغبون تماما، لأنهم لا يقومون بذلك في ظل ظروف لا يختارونها بأنفسهم، بل تحت ظروف معينة يجدونها وقد انتقلت إليهم من الماضي"[74]. وهي تمثل إشارة مضمرة تحمل نقدا للوئام المدني الذي حدث مع بداية الألفية وبشر بنهاية الإرهاب وبناء جزائر جديدة على الورق يقول الراوي "الآن الآن فقط يشعر أنه تحرر من ماضيه إلى الأبد"[75]. مرورا بالتسامح بين أبناء الوطن الواحد وبين المثقف وشعبه الذي يدافع عنه بوصفه حاملا لقضيته ومعبرا عن آماله ورافعا لشعاره يقول الطبيب "ها أنا واقف على بابكم، عاريا من كل الخرافات التي لم توصلني إليكم في الماضي، جائعا وعطشانا للتسامح والإحسان الذي لم تنعموا به علي في الماضي"[76] وانتهاء بالعمل والجد فلا سبيل إلى ارتقاء الأمم إلا بتجسيد أحلامها على تربة الواقع، يقول الراوي:

"هيا يا توبيب حان وقت العمل!

صباح الخير أيها العمل..."[77]. والرواية تؤكد دور المرأة في صناعة هذا المستقبل المأمول فنذير جزائري يتمكن من إعادة تشغيل وعيه بعد التقائه بزهية تلك الشخصية المثقفة الحالمة.

ولعل هذه القولة أيضا تؤسس لمفهوم الذاتية، ذلك أن قراءة هذه الخاتمة الروائية يؤكد لنا ضرورة بناء الذات ودور الذاتية في النهوض بالأمة؛ خاصة وأن ثقافتنا العربية ثقافة جماعية بامتياز يموت فيها الفرد لتحيا الجماعة، وهذا مخالف لحقيقة الحرية الفردية عامة وحقيقة المثقف بشكل خاص فمن دون حرية واستقلالية الفرد سيبقى التطور في مجتمعاتنا المتخلفة حلما مُصادراً إلى حين حسب تصورات الروائي، ويبقى الهدر[78] مستمرا.

إنها تطبيق رمزي لفلسفة الاعتراف[79] التي ظهرت حديثا والتي كانت سببا في بزوغ أمم كبرى في عالم اليوم فشعوب أوروبا مثلا خاضت حروبا مدمرة لكنها استطاعت بفعل هذه الفلسفة أن تتغلب على آلامها وجراحها وحقدها، من خلال زرع ثقافة الحلم بمجتمع موحد وبناء جيل يؤمن بالعمل من أجل تحقيق ذلك الحلم. لأن الحياة "مقاومة وكفاح وليست هروبا إلى الأمام..لا يفتأ ماضينا يركض وراءنا حتى يلقي القبض ويعيدنا إلى مربطه"[80] فبناء الأوطان وصناعة الشعوب يعني أن" تتطلع إلى الواقع وتعمل على تحسينه أو يتركها الواقع لخرافاتها وانحرافاتها وتحلل شخصيتها!"[81].

لذلك جاء في الحوار الذي دار بينه وبين زهية -والتي يمكن أن ترمز للوطن:-

"وهل لمثلنا مستقبل في هذا المكان؟

قال بثقة:

سننحته من ضلع المستحيل"[82].

غير أن رؤية الطبيب للمقاومة لا تتوقف عند هذا الحد لكنها تتجاوزه إلى ضرورة الإيمان بجدوى التغيير وكذلك التأكيد على دور الفرد في ذلك؛ فهو كان مؤمنا بأنه حلمه كطبيب يداوي المرضى ويصلح أوضاعهم ستتحقق بالعمل والمثابرة والمقاومة أيضا إذ "ليس تغيير العالم هو الذي يشكل محتوى الوجود التاريخي للإنسان وإنما تغيير الوعي عن العالم"[83] وهي ميزة الإنسان الحر في نظره، عكس غيره من المثقفين، والمقصود هنا شلته التي كان يلتقي بها في الماخور، والتي استسلمت لعبثية الواقع وكان مصيرها بعد ذلك مؤلما، إما بفقدان الأمل في التغيير أو السجن أو الجنون أو الموت في كثير من الأحيان، فهو يبني كينونته ويحرر ذاته من خلال كسر أساليب السلطة في زراعة اليأس وتبديد سبل الفساد التي تعزز بقاءها واستمراريتها.

إذ ليس شرطا على المثقف أن يكون عالما او متخصصا أو كاتبا كبيرا؛ بل أن يكون مناضلا يعيش الواقع ويدافع عن أحلام شعبه. وأن يتقن عمله ويؤدي أمانته، فمعرفة فرانز فانون لم تكفيه لتحرير عقول المستعمَرين إبان الثورة لكنه عندما وضع مئزره وانضم إلى صفوف الثوار تحول إلى رمز للنضال وإلى أيقونة في إتقان العمل؛ يقول الراوي في هذا الصدد: "سيقول غدا أمام اللجنة الصحية المنصبة على عجل: "المهمة أنجزت، ومرضى فرانز فانون يتلقون علاجيا

طبيعيا للتخلص من ماضيهم البغيض، من خوفهم وكبتهم وقلقهم، وسيكونون بعد قليل جاهزين للعودة إلى دورة الحياة الطبيعية!. كان حلما تقاسماه بإصرار.. سنبقى هنا..سنبقى! ...واتفقا، خاصة اتفقا على أن الحياة لا تقدم هدايا للكسالى، وأن الأحلام تتحقق بالإصرار.."الحياة مقاومة وكفاح وليست هروبا إلى الأمام"! "افعل الخير لأنه يبقى في الأرض"! وابتداءا من هذه الليلة لن يفرض الأسياد الشريرون حقيقتهم الخادعة"[84].

وقد تخلص من نصفه اليائس الخاضع-الماضي- وانتصر لنصفه المقاوم-حاضر، مستقبل- ورأى أن التغيير يبدأ من الأسفل كل يغير بما يعرفه وفيما يجيده فالغد يُبنى بالجهد المبذول في الحاضر، يقول الراوي "بالموازاة مع إعادة بناء ذاته كان يبني حوله مجتمعه الذي سيعيش فيه، متأقلما أو متنازلا، وفي كل الحالات منسجما. وقرر أن يخرج من قوقعته ويكف عن التلصص على المجتمع من ثقب في جداره، منتصحا بأفكار أستاذه المشرف: "على الذين يفكرون في المستقبل أن يشرعوا منذ الآن في بنائه، لأنهم بانتظارهم الغد يكونون قد فوتوا الفرصة الأخيرة .. جرب لا تستسلم للخوف!"[85]

فحوار الطبيب رمز المثقف وزهية رمز الوطن يكشف لنا أن -جزائر الروائي- تحتاج إلى مثقفين حقيقيين في زمن قاحل لا يعترف بالإنسان، ويبين أنها تملك الإمكانات اللازمة للنهوض، لكنها تحتاج إلى الحرية حتى تنبعث من سباتها وتصنع ذاتها وحاضرها وتستشرف مستقبلها. إنها شعوب نائمة تحتاج إلى أسطورة الانبعاث وإلى مثقفين يكونون أنبياء لهم، ومرشدين، وصانعين لمسيرتهم الموءودة والقابعة في قلوبهم المتألمة؛ ذلك أن الحرية "غير حرة في هذا البلد"[86] وفي بلداننا العربية أيضا؛ فبقاء السلطة مرهون باستمرار الأوضاع وتوقف الزمن وتكرار التاريخ أما الوعي والتغيير فهو عدو السلطة الأول.

إن قدر المثقف اليوم كما يقول نذير جزائري مخاطبا ذاته في حوار داخلي "قدرك يا بني أن تبحث عن المعرفة لتتحرر من ماضيك البغيض..أنت موهوب للمستقبل، وعليك أن تنحت هذا المستقبل من أضلاع شعبك!"[87] ذلك أنه يحتاج إلى الانخراط بقوة في عالمه ومصارعة الظلم والطغيان كما فعل سابقا المناضل المارتينيكي "فرانز فانون" تاركا مؤزره حاملا سلاحه، وهذا لا يكون إلا عن طريق فهم حقيقي للذات واستكشاف لباطنها لأن "فهم الذات هو الخطوة الأولى لفهم العالم المحيط بها، وافتقاد بوصلة فهم الذات يقود إلى التيه"[88] . إنه موت للإنسان اليائس الذي صنعه الاستعمار والسلطة والعنف، وميلاد لإنسان جديد متسامح معتد بنفسه صانع لمستقبله .

والرواية توظف كثيرا من أبطال الشخصيات التي ساهمت في تغيير خارطة الكتابة الروائية العالمية والعديد الاقتباسات والتناصات المستقاة من روايات عالمية وعربية ومقولات فلسفية وأفكار فرانز فانون الثورية؛ ذلك أن الروائي يؤمن بأنه إذا لم نتحرر في الواقع فيمكننا أن نتحرر في الخيال، في الأدب، من خلال الكتابة، بوصفها نوعا من الخلاص الجماعي، وكونها الميدان العالمي الذي يشكل فيه الإنسان وعيه. فنذير جزائري يقتبس لنفسه اسم شخصية رواية "التحول-المسخ"[89] لكافكا غريغور ساسا الذي تحول من إنسان إلى حشرة لكي يعبر عن رفضه المطلق للسيطرة المفروضة على الإنسان الحديث ويعبر عن هول المأساة التي وصلتها الإنسانية من جراء عقلانيتها المزعومة والتي أدت إلى وأد الإنسان.

فإذا كان "سامسا" كافكا قد عانى البؤس والشقاء والرفض والإبعاد والحجر والتحقير من أسرته ومجتمعه واستطاع "بدرجة عالية من الصدق الفنّي، صياغة حقيقتنا في سياق تحوّلاتنا، إذ يلغي التحوّل إلى حشرة ما يُسمّى بـ"العالم الإنساني"، مبيّنًا الانفصال التراجيديّ بين الجسد والروح، والذي يعبّر عمّا نريده نحن وما تفرضه علينا ظروف الواقع"[90]. فإن "سامسا" عبد العزيز غرمول بعد أن كان مستسلما لإملاءات السلطة رافضا نصرة ذاته ومجتمعه كمثقف نجده في نهاية الرواية يؤمن بوجود أمل في التغيير وبناء عالم أفضل وربما كانت انتفاضة الجنون على السلطة بادية من خلال الحراك الذي ظهر بعد أعوام قليلة من كتابة هذه الرواية !. فإذا كانت الكافكاوية "تترجمها توجهات التاريخ المعاصر الذي توجه ولا زال يتجه بخطى حثيثة نحو تمركز السلطة التي تسعى إلى الألوهية. حيث تحول البيروقراطية الحياة الاجتماعية إلى متاهة لا يمكن رؤيتها وينزع الطابع-الإنساني للفرد"[91] فإن الرواية اليوم تستثمر هذه الرؤية لفضح ممارساتها ومحاولة رسم بادرة أمل أمام الإنسان للتغلب عليها.

مما سبق يمكننا أن نقول إن الرواية بوصفها "فن القول" الذي يهتم بتفاصيل اليومي والعادي والعابر والمهمش والمغيب في تجربة الإنسان داخل المجتمع، وبسبب "اهتمامها الأساسي في تنظيماتها الفضائية وبنائها الفني والدلالي والجمالي السردي بعنصر الشخصية الروائية...[التي] تتبنى مواقف وقيم إنسانية نبيلة، نظرا لارتباطها الجدلي بموقع اجتماعي يفرض عليها أن تنتج تلك المواقف الثورية مثلا، وأن تخوض بقوة كل أشكال الصراع السائدة في المجتمع، سواء منها الرسمية المؤسساتية، أو ذات البعد التقليدي المتوارث"[92].

فإنه وانطلاقا من هذا يمكننا جعل العلاقة التي تربط بين خطاب الجنون والخطاب الروائي في "المجال النقدي للقيم السائدة، والتنبؤ المستمر بتفاصيل المستقبل القريب أو البعيد، ودعم ما هو معرفي وعميق الرؤية، بالإضافة إلى استناد هذه العلاقة القوية بين الخطابين إلى عنصر الحلم الجاد والرغبة العنيفة، أحيانا، في تغيير ما هو قائم ومهيمن وشائع بين الناس، وتحقيق ما هو جديد ومختلف، بخرق المعايير وكسر الأركان والقواعد البالية، وتعرية وجه الحقيقي في المجتمع، بإسقاط الأقنعة وزيف الشعارات والعلاقات التقليدية والخطب، والمواقف الكاذبة والصورية"[93].

ومن ثمّ فإن توظيف خطاب الجنون في الرواية كان هدفه "التعبير النقدي عن واقع اجتماعي متردٍ قيميا"[94] بهدف كشف مضمراته وطرح حلول قد تساهم في بناء واقع أفضل. فالسرد الروائي يتميز بكونه خطابا تجريبيا تجديديا تساؤليا يغرف من منابع ومصادر متعددة وينفتح على مختلف الآراء والخطابات والتوجهات فهو "مشحون بطاقات تأملية، تكرسها أسئلته المتناسلة التي تطرح نفسها بقوة، والحاح كبيرين، وقد حولت هذه الطاقات المتجددة خطاب الرواية إلى خطاب متعدد، يعتمل فيه الفني، والأدبي والفكري، الفلسفي، العقلي، الجنون، الوعي، واللاوعي، الصمت، والبوح...بحيث تمتزج هذه التوليفة من المكونات، ضمن أفق تخييلي مشبع بموضوعات الحياة التي يعمد السرد إلى استقطابها وتفكيكها، وإعادة تركيبها بأسلوب جديد، ورؤية مفارقة للسائد والمألوف، وبالتالي تصبح كل رواية تحمل رؤية إبداعية، تعبر عن فلسفة ما أو رؤية للعالم"[95].

إن الجنون بمعناه النقدي كما تأسس داخل نسيج الرواية هو "ظاهرة تصحيحية ومطلوبة في أي مجتمع يعيش أزمة قيم إنسانية، باعتبار أن هذا الشخص، المجنون يعبر، مستعملا اللغة النقدية الجريئة، عن مواطن الاختلال وبؤر الضعف في المجتمع، وبالتالي، فهو يمثل هنا الوعي الممكن والحقيقة المطلوبة في واقع اجتماعي متخلف ومحاصر بكل أشكال السقوط والرداءة. إنه صوت التأسيس الفعلي للبحث والاجتهاد، والاكتشاف المتواصل لقيم التقدم والحضارة والحقيقة البشرية العادلة المنفتحة على الغد/المستقبل"[96].

ونود أن نشير أخيرا إلى أن الرواية تبقى كتابة رمزية لا تخضع للواقع المعيش، ولا تصوره كما هو بأي شكل من الأشكال وإنما هي طريقة أخرى لإبداع الواقع والحديث عنه ولو بشكل يميل إلى الرؤية السديمية والسوداء أو حتى العبثية. كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن هذه الرواية لا تنطبق على الجزائر، وإنما الجزائر هنا هي نموذج رمزي فقط؛ فهي تتحدث عن السلطة في أي مكان وزمان وعن المقاومة التي صحبت الإنسان في مختلف العصور والحضارات وكان الجنون أحد جوانبها المهمة، فأن تقرأ هذه الرواية هو في الوقت نفسه أن تقرأ عن مختلف أشكال الهيمنة/السلطة والمقاومة في كل ما مر على الإنسان عبر تاريخه الحضاري والثقافي الطويل. وخطورة الرواية أنها توهمك أنك تعيش الواقع عبر الخيال، فالأحداث الحقيقية لا تعدو أن تكون قولا على قولٍ وبالتالي فهي تخضع لمنطق الرواية الخيالي ولجنسها الفني، ومن الصعوبة إسقاطها على الواقع مباشرة من غير إحالات رمزية.

4- خاتمة: ولقد خلص بحثنا إلى مجموعة من النتائج نوردها كما يلي:

- استثمرت الرواية الجزائرية المعاصرة تيمة الجنون لتعبر عن ثورتها ورفضها المطلق للسلطة ولفضح ممارساتها واستمراريتها من الاستعمار إلى الآن، ولتصور معاناة الفرد الجزائري في وطنه وفوق أرضه الطاهرة وتبين الهدر الذي يعانيه.
- عبرت الرواية عن احتفائها باستقلالية الذات الفردية، وأبرزت دورها الفاعل في صناعة الواقع وبناء المستقبل، بالإضافة إلى تجسيدها لشقاء المثقفين داخل الأوطان التي تعاني الاضطهاد وانعدام الحرية كما عكست آمالها وأحلامها في مقاومة السلطة.

❖ نافحت الرواية موضوع الدرس في مضمرها عن الحرية وذلك من خلال معالجتها لأهم القضايا الشائكة التي يعاني من المجتمع الجزائري، وساهمت في تشييد الرؤية الكونية التي قامت عليها الرواية منذ تأسيسها من خلال تنوير الإنسان والدفاع عن كينونته.

- قائمة الإحالات:

1حميد عبد القادر، الرواية مملكة هذا العصر، دار ميم، الجزائر، ط1، 2019، ص11.

2المرجع نفسه، ص14.

3ينظر، محمد معتصم، المتخيل المختلف: دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص13

4المرجع نفسه، ص16

5المرجع نفسه، ص46

6محمد حيان السمان، خطاب الجنون: المعارضة المتخفية للسلطة العربية الإسلامية، مجلة الناقد، لبنان، عدد66، 1993، ص20.

7ميشيل فوكو، الجنون والمجتمع برؤية ميشيل فوكو، ترجمة: زواوي بغورة، مجلة البيان الكويتية، الكويت، عدد405، 2004، ص65.

8روي بورتر، موجز تاريخ الجنون، ترجمة ناصر مصطفى، مراجعة أحمد خريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2012، ص8.

9المرجع نفسه، ص9.

10المرجع نفسه، ص208.

11ميشيل فوكو، الجنون والمجتمع برؤية ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص67.

12محمد بقوح، توظيف الجنون في الكتابة الروائية، تاريخ النشر 1 أكتوبر 2007، تاريخ الزيارة 23 نوفمبر 2022، على الرابط التالي: ansfasse.org/1228.

13ميشيل فوكو، الجنون والمجتمع برؤية ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص72.

14محمد بقوح، توظيف الجنون في الكتابة الروائية، مرجع سابق.

15ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006، ص 47-50.

16محمد بقوح، توظيف الجنون في الكتابة الروائية، مرجع سابق.

17المرجع نفسه.

18هنية جوادي، السرد الحداثي وتجربة الجنون قراءة في "مرافئ الجنون" للمحسن هنية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، مجلد 24، العدد 2، 2022، ص627.

19مراد المتيوي، خطاب الجنون: حفريات في الثقافة العربية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2019، ص09.

20عبد العزيز غرمول، مصحة فرانز فانون، منشورات القرن 21، الجزائر، د.ط، 2016، ص210.

21المصدر نفسه، ص14.

22ممدوح عدوان، دفاعا عن الجنون: مقدمات، دار ممدوح عدوان، سورية، ط2، 2012، ص13.

23إدريس الخضراوي، من التاريخ إلى الرواية الذاكرة الجمعية مصدرا للسرد، مجلة تبيين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، عدد33، 2020، ص89.

24مصحة فرانز فانون، ص13.

25المصدر نفسه، ص49.

26المصدر نفسه، ص125.

27فتحي المسكيني، أم الزين بنشيخة المسكيني، الثورات العربية...سيرة غير ذاتية، دار جداول، بيروت، ط1، 2013، ص35.

28جنات بلخن، الاعتراف والذّاكرة، تعرّف الماضي واستشراف المستقبل، تاريخ النشر: 01.نوفمبر.2022، تاريخ الزيارة: 23.سبتمبر.2023. مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، على الرابط التالي:(mominoun.com) .

29مصحة فرانز فانون، ص235.
30المصدر نفسه، ص71.
31المصدر نفسه، ص79.
32المصدر نفسه، ص14.
33المصدر نفسه، ص58.
34المصدر نفسه، ص27.
35المصدر نفسه، ص23.
36المصدر نفسه ص 282.
37المصدر نفسه، ص49.
38ينظر، إدريس الخضراوي، الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، دار رؤية، مصر، ط1، 2012، ص72.
39عبد العزيز غرمول، مصحة فرانز فانون، ص20.
40روي بورتر، موجز تاريخ الجنون، مرجع سابق، ص89.
41مصحة فرانز فانون، ص131.
42وفيق سليطين، من الجنون إلى المعنى، مجلة أقلام جديدة، الأردن، عدد11، 2007، ص15.
43مصحة فرانز فانون، ص69.
44فتحي المسكيني أم الزين بنشيخة المسكيني، الثورات العربية...سيرة غير ذاتية، ص19.
45للتوسع في أساليب السلطة وتقنياتها ومفاهيمها: ينظر، الهادي بوذيب، المدينة والسلطة في الرواية الجزائرية، مجلة الخطاب جامعة مولود معمري تيزي وزو، عدد24، 2017، ص205-207. وكذلك كتاب شيلي واليا، إدوارد سعيد وكتابة التاريخ، ترجمة أحمد خريس، وناصر أبو الهيجاء، دار الأزمنة، الأردن، ط1، 2007.
46ممدوح عدوان، دفاعا عن الجنون، مرجع سابق، ص19، 20.
47روي بورتر، موجز تاريخ الجنون، مرجع سابق، ص86.
48المرجع نفسه، ص85.
49إيزايا برلين، نسيج الإنسان الفاسد، دار الساقي، لبنان، ط2 ، 2016، ص05.
50موجز تاريخ الجنون، ص94.
51محمد الدوهو، السلطة والمعرفة في الرواية العربية، دار كنوز، الأردن، ط1، 2022، ص55.
52عبد العزيز غرمول، مصحة فرانز فانون، ص86.
53يعد موضوع المعرفة والسلطة من أهم الثيمات التي اشتغل عليها الفكر الفلسفي المعاصر وتجلى ذلك بشكل خاص في أعمال ميشيل فوكو خاصة في "المراقبة والعقاب" و"الكلمات والأشياء" و"تاريخ الجنسانية". وكذلك برز بشكل علني في طروحات النقد الثقافي والدراسات ما بعد الكولونيالية مع إدوارد سعيد في كتابيه "الاستشراق" و"الثقافة الامبريالية"، وهي من المواضيع التأسيسية في الرواية العربية. لمزيد من التفصيل ينظر: المرجع السابق.
54مصحة فرانز فانون، ص14.
55روي بورتر، موجز تاريخ الجنون، مرجع سابق، ص57.
56مصحة فرانز فانون، ص110.
57المصدر نفسه، ص47.
58المصدر نفسه، ص258.
59المصدر نفسه، ص217.
60المصدر نفسه، ص208،209.
61المصدر نفسه، ص25.

62المصدر نفسه، ص22،23.
63المصدر نفسه، ص50.
64المصدر نفسه، ص209،210.
65روي بورتر، موجز تاريخ الجنون، مرجع سابق، ص83.
66مصحة فرانز فانون، ص131.
67المصدر نفسه، ص109.
68المصدر نفسه، ص34.
69المصدر نفسه، ص47.
70عبد العزيز غرمول، مصحة فرانز فانون، ص240
71المصدر نفسه، ص 235.
72المصدر نفسه، ص18.
73المصدر نفسه، ص107،108.
74إريك دافيس، مذكرات دولة: السياسة والتاريخ والهوية الجماعية في العراق الحديث، ترجمة حاتم عبد الهادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2008، ص11.
75عبد العزيز غرمول، مصحة فرانز فانون، ص 279.
76المصدر السابق، ص280.
77المصدر نفسه، ص 290.
78للتوسع في الهدر ومفاهيمه: مصطفى حجازي، الإنسان المهدور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
79محمد العربي العياري، فلسفة الاعتراف في دلالات المفهوم وراهنيته، تاريخ النشر: 5. أغسطس. 2021، تاريخ الزيارة: 25. نوفمبر. 2022، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، على الرابط التالي:mominoun.com .
80عبد العزيز غرمول، مصحة فرانز فانون، ص 9.
81المصدر نفسه، ص 79.
82المصدر نفسه، 283،284.
83جنات بلخن، السرد التاريخي عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص8.
84مصحة فرانز فانون، ص286،287.
85المصدر نفسه، ص206.
86المصدر نفسه، ص 123.
87المصدر نفسه، ص 217.
88هنية جوادي، السرد الحداثي وتجربة الجنون، مرجع سابق، ص 627.
89فرانتس كافكا، التحول، ترجمة: مبارك وساط، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2015.
" 90مسخ "كافكا: لماذا يتحوّل البشر ؟!، تاريخ النشر: 2017.02.22، تاريخ المعاينة: 2023.08.31، مقال إلكتروني: على الرابط "مسخ "كافكا: لماذا يتحوّل البشر ؟! | فسحة | عرب 48(arab48.com)
91محمد الدوهو، كافكا والرواية العربية، مجلة الملتقى، المغرب، عدد4، 1999، ص138
92محمد بقوح، توظيف الجنون في الكتابة الروائية، مرجع سابق.
93المرجع نفسه.
94المرجع نفسه.
95هنية جوادي، السرد الحداثي وتجربة الجنون، مرجع سابق، ص 617.

96محمد بقوح، توظيف الجنون في الكتابة الروائية، مرجع سابق.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا/ المصادر:

1 -عبد العزيز غرمول. مصحة فرانز فانون. منشورات القرن 21. الجزائر. د.ط. 2016.

ثانيا/ المراجع:

1-إدريس الخضراوي، الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، دار رؤية، مصر، ط1. 2012.
2-إدريس الخضراوي، من التاريخ إلى الرواية الذاكرة الجمعية مصدرا للسرد، مجلة تبيين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، عدد33، 2020.
3-إريك دافيس، مذكرات دولة: السياسة والتاريخ والهوية الجماعية في العراق الحديث، ترجمة حاتم عبد الهادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2008.
4-إيزايا برلين. نسيج الإنسان الفاسد. دار الساقي. لبنان. ط2. 2016.
5 -جنات بلخن، السرد التاريخي عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2014،1.
6 -جنات بلخن، الاعتراف والذّاكرة، تعرّف الماضي واستشراف المستقبل، تاريخ النشر: 01.نوفمبر.2022، تاريخ الزيارة: 23.سبتمبر.2023. مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، على الرابط التالي.(mominoun.com) :
7 -حميد عبد القادر. الرواية مملكة هذا العصر. دار ميم. الجزائر. ط1. 2019.
8 -محمد بقوح. توظيف الجنون في الكتابة الروائية. تاريخ النشر 1 أكتوبر 2007. تاريخ الزيارة 23 نوفمبر 2022. على الرابط التالي : ansfasse.org/1228.
9-محمد الدوهو. السلطة والمعرفة في الرواية العربية. ط1. دار كنوز. الأردن. 2022.
10-محمد الدوهو. كافكا والرواية العربية. مجلة الملتقى. المغرب. عدد4. 1999.
11 -محمد العربي العياري. فلسفة الاعتراف في دلالات المفهوم وراهنيته. تاريخ النشر: 5. أغسطس. 2021. تاريخ الزيارة: 25. نوفمبر. 2022. مؤسسة مؤمنون بلا حدود. على الرابط التالي.mominoun.com :
12 -محمد حيان السمان. خطاب الجنون: المعارضة المتخفية للسلطة العربية الإسلامية. مجلة الناقد. لبنان. عدد66. 1993.
13 -محمد معتصم. المتخيل المختلف: دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة. منشورات الاختلاف. الجزائر.ط1. 2014.
14 -مراد المتيوي. خطاب الجنون: حفريات في الثقافة العربية. دار كنوز المعرفة. الأردن. ط1. 2019.
15" -مسخ" كافكا: لماذا يتحوّل البشر ؟!. تاريخ النشر: 2017.02.22. تاريخ المعاينة: 2023.08.31. مقال إلكتروني: على الرابط "مسخ" كافكا: لماذا يتحوّل البشر ؟! | فسحة | عرب 48.(arab48.com)
16 -ممدوح عدوان. دفاعا عن الجنون: مقدمات. دار ممدوح عدوان. سورية. ط2. 2012.
17 -مصطفى حجازي. الإنسان المهدور. دراسة تحليلية نفسية اجتماعية. ط1. المركز الثقافي العربي. المغرب. 2005.
18 -ميشيل فوكو. تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي. ترجمة: سعيد بن كراد. المركز الثقافي العربي. المغرب. ط1. 2006.
19 -ميشيل فوكو. الجنون والمجتمع برؤية ميشيل فوكو. ترجمة: زواوي بغورة. مجلة البيان الكويتية. الكويت. عدد405. 2004.
20 -روي بورتر. موجز تاريخ الجنون. ترجمة ناصر مصطفى. مراجعة أحمد خريس. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث. الإمارات العربية المتحدة. ط1. 2012
21 -شيلي واليا. إدوارد سعيد وكتابة التاريخ. ترجمة أحمد خريس. وناصر أبو الهيجاء. دار الأزمنة. الأردن. ط1. 2007.
22 -فتحي المسكيني، أم الزين بنشيخة المسكيني، الثورات العربية...سيرة غير ذاتية، دار جداول، بيروت، ط1، 2013.
23 -فرانتس كافكا. التحول. ترجمة: مبارك وساط. منشورات الجمل. بيروت. ط1. 2015 .
24 -الهادي بوذيب. المدينة والسلطة في الرواية الجزائرية. مجلة الخطاب. جامعة مولود معمري تيزي وزو. عدد24. 2017 .

25 -هنية جوادي. السرد الحداثي وتجربة الجنون قراءة في "مرافئ الجنون" للمحسن هنية. مجلة اللغة العربية. المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر. مجلد 24. العدد 2. 2022.
26- وفيق سليطين. من الجنون إلى المعنى. مجلة أقلام جديدة. الأردن. عدد11. 2007.